حتى لا نتوه مع الناصرية!

على الرغم من الاحداث الكثيرة والكبيرة ، التى توالت على مصر منذ رحيل جمال عبد الناصر ، ومن ابرزها حركة التصحيح فى ١٥مايو ١٩٧١، وحرب استرداد القناة فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، واطلاق شعارات سيادة القانون ودولة المؤسسات ، والانفتاح السياسى والاقتصادى ، بالرغم من هذه الاحداث الهامة والكبيرة وغيرها كثير فى الحياة المصرية، فان هناك الحاحا يكل ولا يهدأ للابقاء على موضوع واحد مطروح على تفكير الشعب المصرى والعربى ، وهو موضوع « الناصرية » ٠

بقلم أحمد طلعت

وفى ظنى ان الحوار يجب ان يبدا بسؤال :

هل الناصرية هى نظرية سياسية، حتى يمكن ان يكون هناك ناصريون ولا ناصريون ٠٠ ؟

وبعبارة اخرى هل هناك من يؤمن بالنظرية الناصرية فيسمى ناصريا ؛ ومن يكفر بها فلا يستحق هذه التسمية ؟٠

وللاجابة على هذا السؤال فقد يكون من الضرورى ان نتفق - منذ البداية - على مجموعة من الحقائق العلمية والتاريخية ، يكون الحوار فى ظلها منطقيا دون انفعال ، وموضوعيا دون مغالطة :

١ - ان النظريات السياسية والاقتصادية تسمى بمضامينها قبل ان تنسب الى اصحابها ؛ ومن هنا يظهر الفارق بين النظرية والبطاقة الشخصية ٠٠

فالنظرية هى قياس للظواهر الاجتماعية واستخلاص لمدلولها بقصد التأثير فيها وتوجيه مسارها فى خدمة المجتمع ، اما البطاقة الشخصية فهى تحوى مجرد مجموعة من البيانات عن صاحبها ٠٠

٢ - ان النظريات السياسية كالديموقراطية والدكتاتورية مثلا ، والنظريات الاقتصادية ؛ كالراسمالية والاشتراكية مثلا ، قد دخل عليها التعديل والتطوير مع اجتهادات الفكر والتطبيق فتفرعت وتشعبت كل واحدة منها بحيث اصبحت لدينا الديمقراطية المباشرة ؛ والديمقراطية النيابية تحت عنوان الديموقراطية مثلا ٠٠ كما عرفت العالم الاشتراكية العلمية ، والاشتراكية الغابية تحت عنوان ٠٠٠ الاشتراكية مثلا ٠

٣ - انه اذا كان بعض الاشتراكيين العلميين يسمون اشتراكيتهم بالماركسية اللينينية ، فهم لم يفعلوا ذلك بقصد ان يستخرجوا لها بطاقة شخصية ؛ بقدر ما كانوا يريدون ان يجمعوا بين النظرية التى وضعها كارل ماركس ، والتطبيق الذى تولاه لينين

والتاريخ يؤكد ان تطبيق لينين ليس متطابقا تماما مع نظرية ماركس!

٤ - اذا تجاوزنا واعتبرنا انه كانت لبعض الانظمة الديكتاتورية نظريات؛ وان كانت فى حقيقتها مجرد افكار ، فاننا نجد ان هذه (النظريات) لم تكن تحمل اسماء اصحابها ، فالنازية هى اختصار لاسم الحزب الالمانى الوطنى الاشتراكى ؛ والفاشية هى اختصار لاسم الهيئة التى انشاها موسوليني عام ١٩١٤ والتى كانت تدعو لدخول ايطاليا الحرب الى جانب الدولة المتحالفة ٠

٥ - ان معظم النظريات السياسية التقليدية ، كانت تعتبر ان الاقتصاد يتحرك وفقا لمقتضيات السياسة ؛ حتى جاء كارل ماركس فى نظريته براى جديد يذهب الى ان الاقتصاد هو الذى يحرك السياسة ، وان كل قرار سياسى وراءه هدف اقتصادى ظاهر او خفى ، وهو ما عرف بالتحليل الاقتصادى للتاريخ ٠

جمال عبد الناصر

لينين

اذا اتفقنا على هذه المجموعة من الحقائق - وهى علمية تاريخية - فهل يمكن ان نعتبر الشعارات الستة التى اطلقتها حركة ٢٣ يوليو - بعد قيامها - هى النظرية الناصرية فى السياسة والاقتصاد بالرغم من ان عبد الناصر لم يكن وحده فى مجلس الثورة ؛ وبالرغم من ان هذه الشعارات لم ترتكز على تحليل علمى او تستند الى دراسة من اى نوع ٠ ؟

وهل يمكن ان يسمى الميثاق نظرية ناصرية ٠٠ ام يصح وصفه انه محصلة لتجربته المنفردة فى الحكم ما يقرب من عشر سنوات ٠٠؟

واذا تجاوزنا - مرة اخرى - وسلمنا بان مجموعة الشعارات التى رفعها جمال عبد الناصر والمبادىء التى نادى بها - سواء كان قد حققها ام لم يحققها ؛ وسواء كان « وقف التنفيذ » مقصودا او نتيجة لظروف خارجية ، اذا تجاوزنا وسلمنا بان هذه المجموعة من الشعارات والمبادىء هى النظرية الناصرية ، فان هذا التجاوز سوف يقودنا الى سؤال ضرورى ومنطقى :

هل نحن مختلفون مع مبادئ عبد الناصر وشعاراته المعلنة ام مع اسلوب حكمه وانحرافات اعوانه ؟٠

والاجابة فى بساطة وامانة هى :

اذا كانت الناصرية هى الاشتراكية؛ والعدل الاجتماعى ، وعدم الانحياز ، ومجتمع الكفاية والعدل ، واسترداد فلسطين ٠٠ الخ فنحن جميعا مع الناصرية ٠

واذا كانت الناصرية هى قراءة الطبقة الجديدة ، وقمع المعتقلات وممارسة التعذيب وقطع العلاقات مع معظم دول العالم ، وفرض الحراسات وهزائم متتابعة على ارض سيناء ٠٠ الخ فنحن ضد الناصرية ٠٠

اذا كانت الناصرية هى البيانات التى الحت على اسماعنا فنحن ناصريون

واذا كانت الناصرية هى اسلوب الحكم الفردى على مدى ثمانية عشر عاما فلسنا ناصريين ٠٠

ولعل فى هذه الاجابة - على بساطتها - اجابة على سؤال اخر كبير وخطير ، سؤال طرحه الرئيس السادات فى حديثه الى الشعب يوم ٢٥ ديسمبر الماضى :

هل كان السادات طوال ثمانية عشر عاما شريكا ام غافلا ٠٠ ؟

والاجابة - بنفس البساطة - ان السادات كان شريك الشعارات والمبادئ ، اما التطبيق فيسال عنه من انفرد بالسلطة والسلطان ٠٠ !!

ويترتب على ذلك منطقيا ، ان ثورة التصحيح فى ١٥ مايو كانت مطلوبة باسلوب الحكم لينفق مع المبادئ ، وثورة على الممارسة لتتفق مع الشعارات ٠

ومصر مع التحديات التى يفرضها عليها المستقبل ليس لديها وقت تضيعه فى مناقشات لا جدوى منها